أقوال المؤلفين العرب في سعود

كتاب الريحاني

قال أمين الريحاني في كتابه (تاريخ نجد وملحقاته) :

(.. في ١١ وقيل في ٨ جمادى الأولى من السنة ١٢٢٩ هـ = ٢ أيار ١٨١٤ م. مات في الدرعية الامام سعود ، وهو في الثامنة والستين من عمره . مات لا بالحمى – كما قال هوغارت نقلاً عن أحد المستشرقين الذين كانوا يومذاك في مكة – بل بعلة المثانة ، وقيل بعلة أخرى ، هي نكبة أهل نجـد في الحجاز ، التي عجلت ولا شك في أجله .

وقد كانت ولايته إحدى عشرة سنة ، إذا حسبناها من يوم وفـــاة والده عبد العزيز ، وسبع وعشرين سنة إذا عدّت من يوم بويـع بالإمارة في السنة الثانية والمئتين والألف .

كان يدعى **بالكبير** ، وقد خصّ بتلك السجايا أو بأكثرها ، التي تؤهل رجل التاريخ لهذا اللقب . **فقد كان في عظمته متواضعاً ، وفي حكمته ورعاً ، وفي عدله حليماً** ، وفي سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء ، أضف الى ذلك ذكاءً لم يكن عادياً ولم يقف به عند حد السياسة ، فقـــد كان مولعاً بالعلم محباً للعلماء فلم يستنكف من عقد مجالس للمطالعة والتدريس في قصره وتحت إشرافه عندما يكون في العاصمة ، بـــل كان هو يتولى التعليم في بعض الأحايين فيدهش حتى

العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه ، وبالرغم من تعدد مشاغله ومشاكل ملكه البعيد الأرجاء كان يزور مجالس التدريس العامة فيطلع على أعمال الطلبة ويجزي منهم الأذكياء المجتهدين .

وقد كان سعود كبيراً في أخلاقه مثله في أعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه وإن كانوا من أعاديه ، ولا يقف في إحسانه ومكارمه عند شبهات النفس وأهوائها ، مثال ذلك معاملته للشريف غالب على ما كان يبطنه الشريف من الكيد والغلّ ، فلو كان فاتح مكة غير سعود ، لو كان محمد علي مثلاً ، لما أذن للشريف بالعودة اليها بعد أن فرّ منها هارباً إلى جدة .

الحرب خدعة !

أما في غزواته وفتوحاته فلم يكن ليخرج عن القاعدة : ان الحرب خدعة !

وللعرب في ذلك أساليب تقترن فيها السذاجة بالدهاء ، فقد كان سعود إذا أراد أن يغزو الى جهة الشمال يُظهر أنه يريد الجنوب أو الغرب والعكس بالعكس . وعندما نزل الرقيعة في غزوة الأحساء أمر رجاله أن يوقد كل واحد منهم ناراً وأن يطلقوا كلهم البنادق دفعة واحدة فارتجت الأرض وأظلمت السماء وأسقط كثير من الحوامل في الأحساء . هذه الطريقة في الحرب ، طريقة الإرهاب والترويع ، مألوفة عند العرب خصوصاً عند أهل نجد .

ولا حاجة لذكر البسالة ، في سعود الكبير ، والإقدام وعلو الهمة والمرام ، فإن في فتوحاته الشاهد الأكبر على ذلك .

مزيتا حكمه :

أما حكمه فقد كان له مزيتان كبيرتان رائعتان هما : الأمن والعدل :

الأمن : وكان أساسه العقاب الشديد السريع بموجب الأحكام الشرعية .

والعدل : وكان أساسه الأمتن المساواة وعدم المحاباة .

نقيصة حكمه :

بيد أنه لم يكن على شيء من الإدارة ، ولا كان النظام – ما عدا بعض قواعد أساسية تتعلق بالجيش – معلوماً ، فلم يكن يربط النواحي القصية بعضها ببعض

غير كلمة الأمير ، ولم يكن ليحفظها وثيقة العرى غير صولته ، فإذا ذهبت الصولة ذهب الملك !

فؤاد حمزة :

قال فؤاد حمزة ، في كتابه : (قلب جزيرة العرب) :

(.. عصر سعود الكبير يحسب بحق الدرّة اللامعة في تاريخ حكومة آل سعود الاولى ، فقد اكتسبت دولته على زمانه أكبر رقعة وأعظم موقع ، وحين نشوب الحرب بينه وبين المصريين والترك قبيل وفاته بقليل كانت بلاده ممتدة من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير إلى شواطىء الفرات والبادية السورية ومن الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر .

توفي سعود في الدرعية عام ١٢٢٩ هـ . (١٨١٤ م .) بعد أن شهد العظمة التي بلغتها بلاده ، وقد كان سعيداً بموته قبل أن يرى ما حلَّ بها على يد الدولة العثمانية .)

محمد البسام :

قارن محمد البسام ، في كتابه : (الدرر المفاخر) بين سعود وبين آبائه ، فقال إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أسّس دعوى دينية لا دعوى دنيوية (فلما تبيّن بهذه الدعوى ، وكشف ما أسرّ من النجوى ؛ حكم محمد بن سعود حتى أقام على تخته مدة ، ثم حكم ابنه عبد العزيز وقامت الامور بأمره غاية القيام ، وخدمته كما يشاء الليالي والأيام ، ثم بعده ابنه سعود ..

أما محمد وعبد العزيز فطلبهم بذلك نشر الإسلام ، وتبيين شرائعه والاعلام ، وكفروا من أبى عن طاعتهم ، وقاتلوه بغاية استطاعتهم .

وأما سعود .. فعنده حقيقة ان الإسلام موجود في سائر المشارق والمغارب ، لكن لا يمكنه نفوذ أوامره في طلب الملك إلا بدعوى آبائه ، ففعل فعلهم في الدعوى الذين هم أسسوها .

وبعده ابنه عبد الله بن سعود ، الذي ختمت به دولتهم بقهر عزيز مصر محمد علي باشا ، وجميع ملكهم ما تجاوز مائة سنة .) .

مؤلف لمع الشهاب :

ويقول مؤلف « لمع الشهاب » :

(لا يخفى عليك ان سعود لما ولي الأمر بعد أبيه كانت هذه أحواله : انه يلبس الثياب « النعيم » مصبوغة وغير مصبوغة ، وغالب ما يلبسه « قميص » من البز الهندي اللطيف ، لكنه من الكرباس ، وقباؤه فيأخذه من ذلك البز ، ولكن يأمر بصبغه باللون العودي او السمائي ، وقلما يلبسه أبيض ، وكان يستعمل العباء السود التي تصنع بالأحساء من غير طرفيها وتحاط بالحرير الأحمر وفي حواشيها قليل من الحرير الأصفر او الأخضر خيطت به على ما هو العادة في خياطة العباءة الأحسائية ، ويسمى هذا النوع العباءة « القيلانية » ، لأن نوع صوفها عندهم يسمى القيلاني ، وهو نعيم جداً يشبه « الكلك » .

وكان يحمل السيف دائماً ، وسيفه عليه من الفضة والذهب والجواهر ، مرصع غلافه بها على صفحات الذهب من جانب أعلاه وأسفله ، وكان السيف لا يبرح معه حتى في مضجعه في فراشه مع زوجته ، لأنه كان غير آمن على نفسه بعد مقتل أبيه عبد العزيز غيلة ، وقد مرّ بيانه .

وكان تحته أربع نسوة بالعقد وست جوار من الكرج ، أرسل بعض الناس خفية إلى أطراف بلاد الروم فاشتروهن له بقيمة كثيرة ، قيل كل واحدة اشتراها بثلاثة آلاف ريال أو أكثر لأنهن متناهيات في حسن الصورة ، وله أيضاً عشر وصيفات حبشيات ، بعضهن أهداه اليه الشريف حمود أبو مسمار صاحب أبي عريش وتهامة اليمن ، وبعضهن أتاه بهن القواسم أهل رأس الخيمة مما اكتسب ومن الغنائم .

وقد غيّر سعود بنيان البيت الذي كان لأبيه عبد العزيز ، فوسع عرصته وبنى غرفاً وخلوات وعيّن لكل امرأة موضعاً خاصاً لها ولخدمها ، بحيث يكون بينها وبين غيرها حائط عظيم لا يتراءين من أجله ، وكذلك الجواري القوارج والكرجيات والحبشيات ، كل واحدة لها خدم من الزنجيات وغيرهن ولها بيت على حدة .

وأما لباس نسائه فكان أحسن لبــاس ، وغالبه من الحرير الهندي المصنوع بالذهب ، أحمر أو أصفر أو أخضر أو غير ذلك من الألوان ، وكذلك يلبسن من بز الشام الحرير العال المطرز بالذهب .

هذا لباسهم بالشتاء ، وأما بالصيف فغالب لباسهن من بعض البز المجلوب من بلاد قسطنطينية كمثل شيء يقال له « مرهق » ، وردي اللون أو أزرقه وأرديتهن من العبي القيلانية ، على كل عباءة طيران من الذهب طرزت بها ، وتصنع هذه العبي في الأحساء وربما صنعت في الدرعية أيضاً . هــذا اذا أردن الخروج الى زيارة احد او ضيافة ، وفي بيوتهن ليس عليهن سوى الثياب المذكورة .

وقــد جمّلهن من الحلي شيء عظيم من الذهب المرصع بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر وغيره . وكان – سعود – يحب رؤية الفصوص من الفيروزج عليهن ، وكان يرسل بعض الناس الى ملك فارس فيشترون له ذلك ، وهكذا صنع للجواري ، بل ربما يدسّ لجواريه البيض شيئاً زائداً .

وكان سعود يترف في المأكل كما يترف في الملبس ، وغالب قوته وقوت عياله الأرز ، وصار أكل الحنطة لديهم قليلا ، واتخذ له أناساً من أهل الأحساء والقطيف يصنعون له الأطعمة الحسنة من اللحوم المقلية والطيور المحشية ، والحلويات الخبيصية بالسكر والبلوج .

هذا في بيته ، وأما في المجلس العام ، اذا أضاف أحداً او جاءه وفد او سفير من بعض البلاد فأكله مع ذلك اللحم والثريد ، وقلما يأمر حينئذ بإخراج شيء من الأرز في الخوان .

وكان يأكل مع الضيوف لا منفرداً عنهم .

وفي البيت يجمع أولاده الذكور معه على خوان واحد .

واتخذ له شربة من الطين المفحور لطيفة جــداً تصنع في الأحساء على هيئة المشربة البغدادية بل هي أرق وأذكى .

.. وأما بالنسبة الى طلب الولائم فكان يجيب من دعاه ولو كان فقيراً ،

لكن .. لما مضى من زمن حكومته مقدار ثلاث سنين ، امتنع عن أن يسير الى الضيافة ، نعم ، يضيف الناس ويكرمهم .

وكان معاصروه من أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الشيخ حسين الأعمى ، الذي كان معاصر أبيه عبد العزيز – وقد تقدم ذكر أحوال الشيخ حسين – فبقي الشيخ حسين قاضياً في أيام سعود الى قبل موته بثلاث سنوات ، فمات حسين وغسله أخوه الشيخ علي وصلى عليه آل سعود قبل عامة الناس ودفن بجانب أبيه ، ثم صارت المشيخة وأمور الدين والفتيا بيد الشيخ علي بن الشيخ محمد ، فأعزه سعود وأطاعه كإطاعة أبيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، إلا أن الشيخ علي ليس بمرتبة الشيخ حسين في العلم والعمل . وكان الشيخ علي يحب النساء جداً وهو رجل مطلاق . [رواية لمع الشهاب مشبوهة ، ونقلناها لمجرد العلم بما كتب سعود]

سليمان الدخيل :

ويقول سليمان الدخيل ، في بحث نشر في مجلة « لغة العرب » البغدادية :

(الإمام سعود بن عبد العزيز : تولى هذا الأمير ديار نجد ، وجنّد جنوداً تزيد على أربعمائة ألف ، بين فارس وراجل ، وأخضع سائر ديار جزيرة العرب ، وحاول مناهضة الملوك الحاكمين على أطراف الجزيرة واستخلاصها من أيديهم ، وقد توفق لشيء كثير من ذلك .

ومن عجيب أمره أنه لم تهزم له راية قط .

وقد كان عالماً ذكياً أديباً ، حسن الخط ، مجيداً للقراءة الصحيحة ، وقد كان من الهيبة والأبهة والجلال بحيث يبهر عيون الناظرين ، وكان فصيح الكلام ، إذا تكلم أنصت اليه جميع السامعين .) .

مؤلفا آثار الادهار :

وفي آثار الادهار :

(هو أبو عبد الله .. خلف أباه عبد العزيز سنة ١٨٠٣ للميلاد .

كان شهماً ، كريم النفس ، ثابت العزم ، عالي الهمة ، وسيماً ، حسن البزة ، غاية في الذكاء والاستقامة ، أديباً وقوراً عالماً متفنناً ، خبيراً بتقلبات الأيام ،

شجاعاً مقداماً ، يتجشم صعاب الامور ويتحمل هول المشاق ، وكان له عند أبيه مكانة أرفع من مكانة إخوته ، وعقد له غير مرة على قيادة الجيش الوهابي وأنفذه إلى داني البلاد وقاصيها ، فخدمه الحظ وساعدته الأيام على بلوغ غايته .

وكان فيه من التديُّن والحلم والعدل ما استمال اليه الخاصة والعامة من الناس فارتفع مقامه عندهم .

وكان صارماً في تنفيذ الأحكام ، يعاقب المجرمين أشدّ العقاب .

وقد جهد وسعه في إبطال الطلاق ..) .

الأمير أحمد الشهابي :

ويقول الأمير أحمد الشهابي ، في كتابه (الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان) ، وهو كتاب مذكرات ألّفه صاحبه الأمير في عهد الأمير بشير الشهابي ، وكان معاصراً للإمام سعود .. قال ، بلغته العامية اللبنانية :

(أخبار سنة ١٢١٧ : وفيها الوهابي الذي طلع خارجه من عرب الحجاز وكان يسمى .. « سعود » ، حاصر مكة ، وطرد الشريف إلى العراق ، وهدم جميع المعابد الذي في مكة والعماير الرفيعة ولم « ابقى » غير البيت ، وقبر النبي .

وكان هذا الوهابي ضهرو قوي في المال والرجال وطاعته العربان وسار في عسكر عظيم ، وكانت شريعته أن لا يعبد إلا الله وحده ، ولا فيه نبي ولا ولي ولا شفيع غير الله وحده ، وكلمن لا يتبعه ويعتقد به يقتله ، فخافت منه الناس وتبعته خوفاً منه ولزود كرمه ، ولم بقى في بر الحجاز أحد إلا ووهّب ، وكثرت شريعته إلى ان أكثر أهل مكة والمدينة وهّبوا معه ، حتى قيل ان عبد الله باشا لو ما يوهب ما تركه يرجع في الحاج .

وكان لا يترك أحد يتسمى بغير اسم الله ، مثل عبد الله وعبد الخالق وعبد الرحمن وغيرهم ، وكان لا يأخذ من الناس إلا عشر المال) .

قاموس الاعلام :

وقال مؤلف « قاموس الاعلام » :

(سعود بن عبد العزيز — يعرف بسعود الكبير .

إمام من أمراء نجد ، وليها يوم مقتل أبيه بالدرعية سنة ١٢١٨ ، وجنّد جيشاً كبيراً أخضع بـه معظم الجزيرة العربية ، فامتد ملكه من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير الى شواطىء الفرات وبادية الشام ، ومن الخليج الفارسي الى البحر الأحمر .

وكان موفقاً يقظاً لم تهزم له راية ، موصوفاً بالذكاء ، على جانب من العلم والأدب ، فصيح اللسان ، شجاعاً مدبّراً .

كانت إقامته في الدرعية ، وتولى بنفسه كثيراً من المغازي ، وفي أيامه حشدت الدولة العثمانية جيوشاً من الترك وغيرهم بقيادة محمد علي باشا (سنة ١٢٢٦ هـ.) لمحاربة آل سعود في نجد ، وأرسل محمد علي ابنه أحمد طوسون من مصر فدخل المدينة ومكة سنة ١٢٢٧ هـ. والطائف سنة ١٢٢٨ هـ.) .

وقال صاحب الخبر والعيان : مات سعود بعلة السرطان المعوي ، والحرب المصرية في بدء شبوبها ، ونجد في أشد الحاجة اليه .

وفي مثير الوجد ان عدد جيوشه زاد على أربعمائة الف .. وانـه توفي وهو عائد من إحدى غزواته ، بين صوار والرياض .

كتاب « آل سعود » :

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ في كتابه « آل سعود » :

(وُلد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمـــد سنة ١١٦٥ هـ . ، ونشأ قوياً حازماً مهاباً ، بل كان من نوادر الزمن وأفذاذ الرجال ، قرأ القرآن وحفظه ، وأخذ يمارس الرماية والفروسية ، وكان مع هذا يحضر على الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب في سائر العلوم .

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره أخذ يغزو ويجاهد،فكان أول غزوة غزاها سنة ١١٨١ هـ .

وكان مظفراً ميموناً ، فتح كثيراً من قرى نجد وبلدانها .

وفي سنة ١٢٠٢ هـ . أُخذت له البيعة بولاية العهد من جميع الرعية ، وبعد

هذا سلمه والده قيادة الجيوش، فكان قائداً حكيماً وبطلا عظيماً، فتح الأحساء والقطيف وعمان والزبارة والبحرين ، وغزا كربلاء ، وهدد العراق ، واستولى على مكة لأول مرة سنة ١٢١٨ هـ . وتخلى عنها بعد شهر لظروف حربية .

وفي هـذه الأثناء توفي والده الإمام عبد العزيز بن محمد شهيداً سنة ١٢١٨ ، فجددت له البيعة من جميع الرعية وتولى الحكم .

وفتح الحرمين الشريفين سنة ١٢٢٠ هـ . ، وبعـد ذلك غزا أطراف الشام سنة ١٢٢٥ واكتسح ما أمامه من القرى والعربان ، فداخل الرعب ولاة الشام ، وتخوفت الدولة العثمانية القضاء على الخلافة العثمانية المزعومة .

وقـد سبق أن أوفدت اليه بواسطة وزير العراق رجلا يسمى « عبد العزيز القديمي » ، يعرض عليه ثلاثين ألف مثقال من الذهب راتباً سنوياً له من الدولة على شرط المهادنة والمسابلة فلم يقبل .

وأوفدت بعـده لهذا الغرض رجلا آخر يسمى « عبد العزيز بك » ، فرجع كما رجع الأول بعدم القبول ، وبرسالة طويلة بلغت ست صفحات ملأها سعود وعيداً ..

فلما فتح الحرمين وغزا أطراف الشام يئست الدولة العثمانية من مهادنته ، فطلب سلطانها محمود من والي مصر محمـد علي باشا القيام بمحاربته وتخليص الحجاز من يده ، فتردد محمد علي باشا أولاً ، وبعد إلحاح لبّى طلب السلطان ، فحدثت تلك الحروب والوقائع النجدية المصرية ..

وقد توفي الإمام سعود في أثنائها سنة ١٢٢٩ هـ .

رحم الله الإمام سعوداً ، فقد كان جلداً صبوراً ، لا تلين له قناة ، ولا يسأم الجهاد والغزوات .

لقّبه أكثر المؤرخين – لا سيا الغربيين منهم – بـ « سعود الكبير » ، إعجاباً بأعماله الكبيرة وبطولاته العظيمة ، غفر الله له وأدام عز آل سعود ومجدهم .) .

كتيب « مثير الوجد » :

وقال راشد بن علي الحنبلي ، في كتابه « مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد » :

(الإمام سعود بن عبد العزيز : تولى ملك نجـد ، وجنّـد منها جنوداً تزيد على أربعمائة ألف ، مـا بين فارس وراجل ، وأخضع جزيرة العرب بأسرها ، وحاول مناهضة ملوك الدنيا وانتزاع الممالك ، وكان مدة حياته لم تهزم له راية .

وكان عالماً ذكياً يحسن الخط والقراءة .

وعليه من الأبهة والهيبة والجلال ما يبهر العقول .

وكان فصيحاً إذا تكلم أنصت له كل سامع .

ثم توفي سنة ١٢٢٩ .)